الأبعاد الدلالية للمصاحبات النصية في رواية "السّمك لا يبالي"

أ. مكلي شامة

جامعة تيزي وزو

يرجع الفضل في إعادة الاعتبار للنص الموازي إلى مباحث الشعرية إذ بعدما كان رومان ياكبسون R.JACKOBSON يبحث – في إطار دراساته– عن إجابة لسؤال يناقش فيه حقيقة النص الشعري (ما الذي يجعل الأدب أدبا؟)، الذي أدى به إلى افتراض وجود بعض الملفوظات في النص ذات طبيعة شعرية، فإنّ جيرار جينات GERARD GENETTE راح يشكل سؤالاً جديدًا للشعرية وهو سؤال النّص الموازي الذي يعتبر عتبة من عتبات النص، و"التي تعتبر المرآة المعرفية التي تُبرز من خلالها النص بتلويحاته وتلميحاته مسهلا عملية الاستقراء والاستنباط ومساءلته وفق المنهج المختار." [1]

ويعرّف بأنه "عبارة عن عتبات مباشرة، وملحقات وعناصر تحيط بالنص سواء من الداخل أو الخارج. وهي تتحدث مباشرة أو غير مباشرة عن النص، إذ تفسره وتضيء جوانبه الغامضة، وتبعد عنه التباساته وما أشكل على القارئ."[2] ويتكون من: المصاحب النصي Péritexte – أو النص الموازي الداخلي، والمحيط النصي Epitexte أو النص الموازي الخارجي حيث يُعرّف الأوّل بأنّه "عبارة عن ملحقات نصية، وعتبات تتصل بالنّص مباشرة. ويشمل كل ما ورد محيطا بالكتاب من الغلاف، والعنوان، والإهداء، والمقتبسات، والمقدمات، والهوامش"[3]. أمّا الثّاني فهو: "كل نص من غير النّوع الأوّل مما يكون بينه وبين الكتاب بعد فضائي وفي أحيان كثيرة زماني أيضا، ويحمل صبغة إعلامية

مثل الاستجوابات والمذكرات والشهادات والإعلانات."[4] ولكل عتبة من هذه العتبات النصية دورها في كشف شعرية النّص ومضامينه.

يتعلق موضوع هذا المقال بجانب من جوانب المصاحب النصي وهو "العنوان" ومحاولتنا تتبع أبعاده الدلالية في رواية "**السمك لا يبالي**" لإنعام بيوض، حيث تعد هذه الرواية – الوحيدة لها– بمثابة رواية فيها من الرموز والإيحاءات ما يدفع القارئ للتساؤل والبحث عن تشكل دلالاتها والبحث عن خباياها لفك ترميزها، حيث: "لا يمكن فهم هذا النص وتفسيره إلا بالمرور عبر العتبات المحيطة ومساءلة ملحقاته النصية والخارجية"[5]. فالنص بهذا الشكل يُبرم تعاقدا مع المتلقي، لأن النص الموازي حريص "على تسويغ تداولية ثقافية، تجعل النص يبحث عن اكتماله في عملية التلقي، بتنوع أطرافها، بين الجمهور العام كعتبة سفلى والقراء النموذجيين كعتبة عليا."[6]

سيميائية العنوان الرئيس: أول ما يجذب القارئ وهو يتصفح أي كتاب هو "العنوان" الذي يتصدره، فهو أول عتبة نلج من خلالها إلى العالم النصي حيث يعتبر "علامة جوهرية للمصاحب النصي، على الرغم من اختلاف النقد في صياغة وضعه الاعتباري. فهو تارة جزء من النص. أي المتوالية اللسانية الأولى فيه، وهو تارة أخرى مكون خارجي، أي العنصر الأكثر خارجية ضمن المصاحبات النصية المؤطرة للعمل."[7]

يبدو لنا العنوان "**السّمك لا يبالي**" لأول وهلة بسيطا وواضحا، ونتوقع أن نجد في الرواية ما يفسر هذه العنونة، غير أنه خرق أفق توقعاتنا وتحققت بذلك مقولة إيكو "إن على العنوان أن يشوش الأفكار". وهذا ما هو حاصل بالفعل ونحن نتصفح هذه الرواية، فدلالة العنوان ليست بسيطة كما تبدو للوهلة الأولى، بل هي مليئة بالإيحاءات والرموز.

أول ما يشد انتباهنا في هذا العنوان هو تركيبه الاستعاري، فقد نسب فعل العاقل (وهو اللامبالاة) لغير العاقل (وهو السمك)، لهذا رحنا نتساءل: هل المقصود بالسمك في هذا العنوان، الحيوان المائي، أم أنّ له دلالة أخرى يكتسبها وفق السياق الذي ورد فيه؟

تدور أحداث الرواية حول شخصيتين رئيستين هما نور ونجم والملاحظ على هذين الاسمين أنهما يبتدئان بالحرف نفسه وهو النون، ممّا يعني أن كلمة السمك قد تكون إحالة عليهما، والسمك كما هو معروف في الثقافات الدينية مرتبط بيشوع بن نون، فتى موسى. فكلمة "نون" إذن تعني سمكة، وهي أيضا اسم للسمكة الإله عند البابليين، كما وردت كلمة نون في القرآن الكريم للدلالة على الحوت الذي ابتلع يونس (عليه السلام) أو يونان، حيث قال الله تعالى:﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى في الظُّلُمَاتِ أَن لاّ إِلاَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنّي كُنْتُ مِنَ الظَّالمِينَ (87)﴾ سورة الأنبياء/ الآية 87.

كما وردت في الإنجيل على هذا النحو: "وكان يوحنا أيضا يعمّد في عين نون بقرب ساليم، لأنّه كان هناك مياه كثيرة، وكانوا يأتون ويعتمدون"[8] ويرتبط بذلك السمك بمياه المعمودية لدى المسيحيين، وتصبح إثر ذلك رمزا للمؤمن الذي ينال الحياة الأبدية.

وللسمك أيضا رمز آخر –في إطار الرموز الدينية – فهو – حسب يونغ – رمز للانبعاث والتجدد.[9] ارتبط بالإله أدونيس والإلهة عشتروت وهو كذلك رمز للمسيح (عليه السلام) حيث إن " رهبان الكنيسة الأوائل كانوا يحتفلون بعيد قيامة المسيح على ظهر سمكة كبيرة."[10] وفي حضارة وادي النيل فإن السمك مخلوقات غامضة صامتة وذات برق أخضر يتلألأ من أعماق النيل لكنها تبرق بحسن الحظ والحماية القادمة من الآلهة .

" في تلك الساعة من نزوات النور، يتلوّن البحر بلون السّمك الفضي. وينشطر خيط الأفق. فتلتحم السّماء بالماء وتتورّد نشوة."[11]

تقول نور لوالدها:

" –أأستطيع أن أطلب منك ما أريد؟

- اطلبي نجوم السماء.

- أريد سمكا فضيا صغيرا من بحر بيروت.

- لتأكليه؟

صاحت باستهجان كبير:

- كلا، لأربيه في بحرة الدار

استغرب والد "نور" هذا الطلب الذي رأى فيه ربما اختيارا تعجيزيا لمدى محبته:

- لكن سمك البحر لا يعيش في الماء العذب."[12]

في هذا المقطع السردي إحالة إلى قصة الخضر مع سيدنا موسى (عليه السلام) الواردة في القرآن الكريم. قال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (60) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ في البَحْرِ سَرَبًا(61) فَلَّمَا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (62) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسيتُ الْحُوتَ وَمَآ أَنْسانِيهُ إِلاَّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ واتَّخَذَ سَبِيلَهُ في البَحْرِ عَجَبًا(63) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (64)﴾ سورة الكهف/ الآية 59–64 فارتبطت السمكة المنبعثة بالخضر الذي اكتسب الحياة الأبدية (حسب ما ورد في الإنجيل).

وجاء في الأدب السرياني قصة الإسكندر وطاهيه اندرياس اللذين ذهبا في رحلة طويلة إلى أرض الظّلام للبحث عن ينبوع الحياة، وبينما أندرياس كان

يغسل سمكة مملحة في ينبوع الماء عادت إليها الحياة وانطلقت في الماء، فقفز وراءها اندرياس ليمسكها فاكتسب هو أيضا الحياة الأبدية.[13]

تتجلى أسطورة الموت والانبعاث في النص أيضا من خلال مقاطع سردية أخرى ويتعلق الأمر في البداية بمسألة شروق الشمس وغروبها " **مع كل غروب، يتراءى لها ذاك المغيب، المهيب، العجيب...صحوة موت متيقن من البعث.**"[14] فغروب الشمس رمز للموت، وإشراقه رمز للبعث والإحياء الجديد. فالشمس في هذه الحالة تتجدد كل صباح، وهي شبيهة بأسطورة الفينيق[15] الطائر الذي كان يحرق نفسه كل مساء ليُبعث رمادُه من جديد. تتجلى هذه الأسطورة أيضا في هذا المقطع السردي حيث قال أحد الرسامين الكبار الذي لم تذكر لنا الساردة اسمه "**ويردد دوما بأنه يرسم للجيل الذي سيبعث من رماد المأساة**"[16]

نشير أيضا إلى أنّ هذه الأسطورة ارتبطت أيضا بشخصية "ريما"، فهي في مرحلة من مراحل حياتها–وهي مرحلة الطفولة–تعرضت لصدمة نفسية إثر وفاة والدتها، وأدت بها هذه الصدمة إلى الدخول في عالم الصمت والانعزال عن العالم المحيط بها، لكنها بعد عامين تمكنت بفضل أحد البطريركيين المسيحيين (شماس اليّاس) من استعادة قدرتها على الكلام. فهتان المرحلتان بالنسبة لها تمثلان مرحلتي الموت والانبعاث، قالت ذات مرة "للهادي" وهو يستفسرها عن حكاية قصاصات الورق التي كانت تتداولها مع نور: "**إنها قصة موتي وبعثي.**"[17]

ويدل اعتناق ريما للديانة المسيحية – وهي التي كانت مسلمة بالوراثة – كولادة جديدة بالنسبة لها، ففي اعتقاد المسيحيين أن كل من يدخل في ديانتهم يعتبر كمولود جديد وسيحظى بالسّعادة والخلاص من كل الآثام والعيش حياة أبدية، لذلك يعمدون كل شخص يدخل في ديانتهم بالماء الذي يرمز للحياة.

سيمياء العناوين الفرعية.

1- **نور**

هو العنوان الفرعي الأول في الرواية، والشخصية المحورية فيها وهذا الاسم ليس مجرد اسم علم يحدد شخصا ما في الرواية أو الواقع، بل هو اسم يحمل دلالة كبيرة، لأنّه مرتبط بالذّات الإلهية فـ" نور: هو الحقّ ويسمّى نور الأنوار لأنّ جميع الأنوار منه، والنور المحيط لإحاطته بجميع الأنوار... والنور المقدس، أي المنزه عن جميع صفات النقص"[18] وكانت "نور" مرتبطة أشدّ الارتباط بالله، فقد كانت " **تحب الله الذي تحدثها عنه جدتها...حتى أنها حلمت به ذات مرة. رأته على قمة جبل شاهق وكأنه امتداد له. لكنها لم تر ملامحه... نهضت في تلك الليلة وهي تتمتم:**

- **الله نور. الله نور.**

سرّها أن تكتشف بأن اسمها قد اقترن، دون أن تدري، باسم الجلالة."[19]

كان نجم يصف نورا بالكمال، وكان هذا بالنسبة إليه عيبا من عيوبها حيث "**كان يحاول أن يجد فيها عيبا. كان عيبها كمالها**"[20]. كانت تجيد الرسم والطبخ والرقص وحتى الجدال. وكانت إضافة إلى ذلك مسلمة " **فقد كانت تغتسل عدة مرات في اليوم من باب التقوى. لأن جدتها بدأت تعلّمها الصلاة.**"[21] وهذا ما يجعلها – بالنسبة إلينا –ممثلة للديانة الإسلامية في الرواية بعكس صديقتها "ريما" التي كانت غير ذلك.

إذا كان السمك يدل على نور "**لكنّ قلبها هو الذي كان يبكي والسمك لا يبالي**"[22] "**خمّنت من رشاقة انسيابها بأنها أسماك صغيرة مذهبة**".[23] أو على نجم ""**السمك لا يبالي!**" **كم كان يحب هذه العبارة حين تنطقها بنبرة تختزل حكمة الرُّسل**"[24]، أو على كليهما، فإن هذا يعني أن أحدهما، أو كليهما –

ظاهريا – لا يبالي بالثاني. فكل واحد منهما يحاول التهرب من سيطرة الآخر (عاطفيا)، فكلما تقربت "نور" من "نجم" أحسّ بالضعف حيالها، وحين يكتشف ذلك يتهرب منها كي لا يقع تحت سيطرة حبّها، وكذلك الأمر بالنسبة لها. فقد بقيا – على الرغم من تعلق بعضهما ببعض – بعيدين، ولم يستطيعا اتخاذ القرار بشأن علاقتهما، فولادة أحدهما تعني موت الآخر "**عرفت أن النور الذي يصلنا من نجمة ما، ليس إلا إشعارا بأفولها وخبوّها إشارة مستقبلية لموت مضى...**"[25]

لكن لو اتحدا لبعث كلّ واحد منهما من مأساة ماضيه المأساوي. فكلاهما فشل في بناء علاقة زوجية، فريما امرأة مطلقة تخاف خوض تجربة زوجية أخرى، ونجم زوج مطلق خائف من الشيء نفسه.

1- ريما... ونور.

هو العنوان الفرعي الثاني في الرواية، فبعد أن درسنا دلالة اسم "نور" سنحاول الآن أن ندرس دلالة كلمة "ريما".

في البداية نشير إلى أنّ "ريما" هي شخصية أخرى من شخصيات الرواية، وهي الصديقة المقربة لنور بل هي نِصفُها الآخر – كما كانت تقول – " **كانت جولييت أول شخص تتحدث معه عن نور... منذ أن ابتلع الأفق سيارة الأجرة التي أخذت معها نصفها الأوحد والكبير دون مقابل.**"[26]وهي أيضا ابنة "ماري" المسيحية الأصل، لأنها بعد زواجها من "مصطفى" والد نور (المسلم) أشهرت إسلامها فأصبحت تسمى مريم. ومعروف أنّ مريم (أم عيسى عليه السلام) مذكورة في القرآن. وهي في الديانة المسيحية ترمز إلى الولادة الجديدة، حيث لا يزال أهل قبرص "يقدمون عطاياهم لمريم العذراء ملكة السماء، في آثار هيكل قديم من هياكل عشتروت، وكما تموت عشتروت وتبعث ثانية مع ابنها، تعود مريم العذراء إلى الحياة بعد موتها في تعاليم الكنيستين

الكاثوليكية والأرثوذكسية."[27] وجميع الحروف المشكلة لاسم "ريما" هي نفسها الحروف المشكلة لاسم "ماري" (الاسم المسيحي). فهي إذا امتداد لأمها وإعادة بعث لاسمها فـ"**عندما سألت "نور" "ماري" بفضول طفولي:**

- **لماذا أسميت ابنتك "ريما"؟**

أجابتها "ماري" بهمس وكأنها تبوح بسرّ دفين:

- **لأن فيه كل حروف "ماري".**"[28]

قد يدل هذا على إعادة بعث الديانة المسيحية، فريما على الرغم من أنّها مسلمة بالوراثة (مسلمة الأب)، إلاّ أنّها اعتنقت الديانة المسيحية بعد وفاة والدتها ودخول والدها مستشفى الأمراض العقلية، وتكفل أخوالها المسيحيين بتربيتها بعد ذلك. فماري بالنسبة لأهلها تعد كافرة حين اعتنقت الديانة الإسلامية، وماري باعتناقها المسيحية واختيارها أن تكون راهبة تكون قد كفّرت عن خطيئة أمّها حيث "**سرّت أم جورج بقرار ريما أيّما سرور، واعتبرته في قرارة نفسها تكفيرا عن خطيئة ابنتها ماري في هجر ديانتها.**"[29]

لكن ماري بعد إسلامها لم تتخلص من الصليب (رمز المسيحية)، بل كانت تدسه تحت وسادتها، وحين دخلت ريما غرفتها ذات صباح (يوم وفاتها) اندسّت في سريرها و"**دسّت يدها المرتعشة تحت الوسادة لتتحسس الصليب الفضي الصغير الذي كانت "ماري" تسكنه راحتها حين تعانق المخدّة.**"[30]

تعيد ريما تركيب اسم جديد انطلاقا من الأحرف المشكلة لاسمها – كما كانت هوايتها–ليكون: "رامي"، وقد وقّعت روايتها الأولى باسم مستعار هو "رامي عبد النور"، و" **حين سئلت عن سبب اختيارها لاسم "رامي"، أجابت بشيء من الإعادة وردّ الصدى:**

- "**لأن فيه كل حروف ماري**""[31]

نستطيع أن نستقرئ من هذا الاسم الاستعاري دلالة، فما دلالة اسم "رامي عبد النور"؟، بمعنى لماذا اختارت هذا الاسم بالذات؟

قد تكون الإجابة عن هذا السؤال، ما ذهبنا إليه في تأويلنا لدلالة "ريما" ودلالة "نور"، فإذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ اسم "رامي" إعادة لتركيب أحرف اسم "ماري" الذي يرمز للديانة المسيحية، واسم "نور" يعني الله فنستطيع أن نقول إن دلالة الاسم "رامي عبد النور" هي "المسيح ابن الله" وهذا ما يدل على أن "ريما" ترمز إلى الديانة المسيحية:

مريم ⟵ ماري ⟵ ريما ⟵ رامي ⟸ مريم ⟵ رامي

وبذلك تكون ريما قد اتخذت اسم ذكر، وهي الأنثى بالولادة، ليكون جنسها من جنس عيسى (عليه السلام) نفسه.

وإذا ما لاحظنا طريقة كتابة العنوان "ريما... ونور"، وجدنا أنّ هناك فراغا بين الاسم الأول والاسم الثاني. وهذا الفراغ لا نجده إلاّ في هذا العنوان، فهل لهذا الفراغ دلالة؟

في اعتقادنا أنّه كذلك، إنه يتضمّن كلاما مسكوتا عنه، وفي اعتقادنا أيضا أنّ هذا الكلام المسكوت عنه هو: "الروح القدس" أو "المحبة" حيث قال لها "شماس الياس" ذات مرة "**عبارته التي بقيت على الدوام نبراس حياتها وبلسم روحها: "فلتكن المحبّة ديانتك.**""[32] فالله محبة ولا يمكن إلا أن يكون محبة، ومن طبع المحبة أنْ تفيض وتنتشر كما ينتشر الماء والنور، وتفترض أيضا وجود شخصين على الأقل يتحابان ويتكاملان، "وليكون الله سعيدا... كان عليه أن يهب ذاته شخصا آخر يجد فيه سعادته ومنتهى رغباته...لذلك ولد الله الابن منذ الأزل لحبه إياه ووهبه ذاته... وثمرة هذه المحبة المتبادلة بين الأب والابن كانت الروح القدس، هو الحب إذن يجعل الله ثالوثا وواحدا"[33] ليرتبط

العنوان بذلك بقاعدة التثليث المسيحية: الله–الابن– الروح القدس. وقد نجد ما يبرر ما ذهبنا إليه ما ورد في الرواية في بعض مقاطعها السردية:

"**الجدة كانت تماهيها بنور وتناديها أحيانا باسمها...وكان ذلك يشعرها بنشوة الكمال.**"[34]

"**عندما تكون هناك ظاهرة يمثلها إثنان، يوجد دائما ثلاثة أشياء: الأول والثاني وهما من عداد الموجود، والثالث وهو الأهم لأنه من عداد الخلق، وهو العلاقة التفاعلية بين الاثنين.**"[35]

1- نجم ونور.

"نجم": هو شخصية من شخصيات هذه الرواية. وقد يحمل هذا الاسم مجموعة من الدلالات انطلاقا ممّا هو منزوع من التراث القديم والثقافات القديمة، فهو قد يرمز إلى نجمة داوود (عليه السلام)، التي تتكون من انطباق مثلثين متساويي الأضلاع بشكل متعاكس فوق بعضها، ويقال إنّ العمر التّقريبي لولادتها – بالرجوع إلى تاريخ أول ظهور له– يعود إلى أكثر من أربع آلاف سنة منذ العصور القديمة[36] فعمر نجم هو "**أربعة آلاف سنة، حسب يقينه الراسخ. هاجسه الوحيد هو أن يجد الحياة حيث يوجد.**"[37] وهو حال اليهود، فهم يتوزعون على كافة بلاد العالم لأنّهم بلا موطن.

وقد يرمز أيضا إلى "تحرير اليهودية من العبودية بعد أربعمائة سنة قضوها في مصر. فالشكل المثلث للهرم يدل على التصوير الشامل للسلطة أمّا الهرم الآخر المقلوب فيعني الخروج من هذه السلطة."[38] إن نجم في مرحلة ما من مراحل حياته–قبل أن يصبح طبيبا–تعرض إلى نوع من حياة شبه عبودية، عندما كان تحت سلطة زوج أمه حيث " **كان يوقظه على الساعة الخامسة صباحا لإحضار براميل المازوت المخزنة في القبو، ونقلها إلى الحمام الذي كان يبعد بحوالي كيلومتر عن البيت، فوق عربة ثلاثية العجلات تدفع بقوة**

الأيدي. ثم يقوم بإفراغ محتوى البراميل بواسطة قمع كبير وكأنه مصفاة من كثرة الثقوب والبعوج المنقوشة على مخروطه. بعدها يساعد العامل على حشو فم القازان بكسارة الأخشاب والفحم، ويوقدان المرجل."[39]

وما يبرّر ما ذهبنا إليه ما ورد في البطاقة الدلالية لـ "نجم"، فهو الابن الذكر السادس لأمه حيث أنها لم تكن تنجب إلا الذكور "**وعندما استشهد أبوه، كانت أمه حاملا بالطفل السادس."**[40]

"**كذلك الذي سكنه إثر موت أبيه، وهو لم يتعلم بعد عدّ سنواته الست."**[41]

" **وأستاذ الرياضيات السيّد "آرتو"، ...كان عنصريا...وعندما سلّمه ورقة امتحانه الأخير الممهورة كالمعتاد بعلامة 20على20، أرفقها ساخرا بعبارة لم يسمع نجم أكثر منها عنصرية:**

أنا متأكد من أنّ زرقة عينيك هي التي تمنحك هذا الذكاء"[42] مشيرا في ذلك بطريقة ضمنية إلى أن اليهود (والسيد آرتو منهم) يوصفون بالذكاء وبالعيون الزرق، وكأن الذكاء ولون العيون متلازمان وخاصان باليهود.

وقد تكرر العدد (6) في الرواية بشكل ملفت للانتباه ومن المواضع التي ورد فيها:

" **نفس الفستان الذي كانت ترتديه عند زيارته الفارطة منذ ستة أشهر."**[43]

" **على فكرة، نحن في اليوم الستين من الأبد"**[44]

" **كان ذلك في اليوم السادس من الشهر الثاني حين التقته لأول مرة (طبعا ليس لأول مرة، فقد التقيا منذ أربعة آلاف سنة)"**[45]

" **منذ اليوم السادس من الشهر الثاني، في العام الأول بعد الخلاص..."**[46]

" **لم تره ثانية إلاّ في اليوم الستين من الأبد ... في ميناء تيبازة.**"[47]

" **إقامة قدّاس جنائزي على روح طفل لم يتجاوز السادسة من عمره.**"[48]

" **طوال الأشهر الست التي قضّتها...**"[49]

إن نجم في هذه الرواية يمثل الديانة اليهودية.

1- الثالوث.

بعد أن بينا – في حدود تأويلنا – دلالات العناوين الفرعية الثلاثة السابقة، نجد أنه من السهولة علينا الآن أن نحدد دلالة العنوان الفرعي الأخير في هذه الرواية، بل نستطيع أن نقول إن هذا العنوان يمكن أن يتحدد بنفسه انطلاقا ممّا سبق. فالثالوث – برأينا – يدل على الديانات الثلاث الموجودة في حياتنا وهي: الديانة الإسلامية، والديانة المسيحية، والديانة اليهودية، الممثلة في الشخصيات الثلاث: نور، وريما، ونجم. وقد ظهر في الرواية ما ذهبنا إليه من خلال ما يلي: " **رفعت العبارة الأخيرة سياجا من السكينة المتوجسة حول الثالوث الواجم.**"[50]

لكن ألا يحق لنا أن نعطي دلالات أخرى – انطلاقا مما ورد في الرواية – لهذا الثالوث؟ ففي اعتقادنا أنه يمكن أن يرمز الثالوث إلى:

(نور ونجم) / (ريما والهادي) / (السيدة إيفلين وزوجها). فهذه الشخصيات الست يمكنها أن تشكل ثالوثا وفق العلاقة التي تربط بينهم، فنور ونجم تربطهما علاقة حبّ، وريما والهادي تربطهما علاقة إعجاب، أو لنقل علاقة حب في بداية تكوينها، أما الزوج الثالث (السيدة إيفيلين وزوجها) فتربطهما – بالتأكيد–علاقة زواج، مشكلين بذلك ثلاث ثنائيات (ثالوثا). فجميعهم كانوا مدعوين لحفلة عشاء في فيلا "الهاي قرين"، ونظمها على شرفهم.

وللإشارة نجد أنّ الجنسيات الثلاث التي ينتمي إليها هؤلاء الأشخاص تتحدد من ثلاث قارات. يبدو ذلك من خلال قوله. " **كان العشاء رائعا – شرقيا وغربيا وأفريقيا – اجتماع لثلاث قارات على مائدة واحدة.**"[51]

نخلص في النهاية إلى أن الروائية أعطت بعدا دلاليا لشخصياتها. وستمثل هذا البعد في البعد الديني، وأشارت إلى ذلك في بداية الرّواية "**في حياتها كل شيء منظم ببعثرة مدهشة. عمرها أربعة آلاف سنة، حسب يقينها الراسخ. هاجسها الدائم هو الألف عام التي سبقت مولدها. أين كانت طوال القرون العشرة تلك؟ كيف فاتها أن تخلف موعدا مع أهم حقبة في التاريخ؟ حقبة ما قبل الأديان.**"

الهوامش

1- رابح بوصبع، مدخل إلى درس العتبات النصية،
http://www.almaktabah.net/vb/showthread.php?t=17088

2- جميل حمداوي، لماذا النص الموازي؟
http://www.arabiancreativity.com/j-hamdaoui2.htm

3- الموقع نفسه.

4- المصدر نفسه.

5- المصدر نفسه.

6- نبيل منصر، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة، ط1، دار توبقال للنشر، 2007، ص27.

7- المصدر نفسه، ص40.

8- إنجيل يوحنا، الاصحاح الثالث/ الآية 23.

9- ينظر: ريتا عوض، أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث، رسالة ماجستير، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1974، ص30.

10- Weston, Jessie L, from ritual to romance, New York : doubleday and company Inc, 1957, p132, ص35. ، نقلا عن ريتا عوض، المرجع السابق،

11- انعام بيوض، السمك لا يبالي، منشورات الاختلاف، د.ت، ص9.

12- م.ن، ص 28-29.

13- ينظر، ريتا عوض، أسطورة الموت والإنبعاث في الشعر العربي، ص46.

14- الرواية، ص10.

15- فينيق: طائر موطنه بعلبك يحترق كلما أدركه الهرم، ليبعث حياً من رماده. شربل داغر، الشعرية العربية الحديثة، تحليل نصي، ط1، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1988، ص127.

16- الرواية، ص131.

17- م.ن، ص202.

18- ممدوح الزوبي، معجم الصوفية، ط1، دار الجيل، بيروت، 2004، ص409.

19- الرواية، ص62.

20- م.ن، ص144.

21- م.ن، ص62.

22- الرواية، ص97.

23- م.ن، ص77.

24- م.ن، ص144.

25- الرواية، ص55.
26- م.ن، ص107.
27- ريتا عوض، المرجع السابق، ص29.
28- الرواية، ص27.
29- م.ن، ص109.
30- م.ن، ص69.
31- م.ن، ص ص111-112.
32- الرواية، ص88.
33- يزيد الحمزاوي، النصرانية وإلغاء العقل، تقديم: أحمد فريد، ط3، 2003.
34- الرواية، ص100.
35- م.ن، ص57.
36- ينظر: مناف غرايبه، النجمة السداسية،
http://www.mexat.com/vb/attachment.php?attachmentid
37- الرواية، ص121.
38- مناف غرايبه، النجمة السداسية،
http://www.alsafwaa.com/vb/showthread.php
39- الرواية، ص149.
40- م.ن، ص129.
41- م.ن، ص125.
42- م.ن، ص163.
43- م.ن، ص153.
44- م.ن، ص169.
45- الرواية، ص10.
46- م.ن، ص 31.
47- م.ن، ص33.
48- م.ن، ص36.
49- م.ن، ص 65.
50- م.ن، ص201.
51- الرواية، ص204.